الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية

عباس الطيار ناصر السبيعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ..

○ مفهوم الخلق:

الأخلاق جمع خلق والخلق هو الفعل الذي يصدر عن الإنسان بصورة عفوية نتيجة التكرار والعادة ويكون مرتبطا بالضمير وتصدق عليه معايير الخير والشر. (طاهر، د،ت)

الطبيعة الإنسانية والأخلاق:

يبين القران الكريم أن الإنسان يتصف بمجموعة من الصفات التي تجعلنا نتعرف على طبيعته والتنبؤ بأفعاله من ذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾[النساء:٢٨] :

- التعب : قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَد ﴾[البلد:٤]
- الظلم : قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار ﴾[إبراهيم:٣٤]
- العجلة : قال تعالى: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ

تَسْتَعْجِلُون﴾[الأنبياء:٣٧]

- الجدال : قال تعالى: ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[الكهف:٥٤]

- حب الدنيا : قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:١٤]

○ الأخلاق في الإسلام:

من أعظم ما يتخلق به المسلم هو الإيمان وقد عد الإسلام الإيمان برًّا، قال تعالى : ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[البقرة:١٧٧]، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " البر حسن الخلق " رواه مسلم . والبر صفة للعمل الأخلاقي أو هو اسم جامع لأنواع الخير. كما أن هناك صلة بين الأخلاق والإيمان ، فهناك أيضا صلة بين الأخلاق والعبادة إذ إن العبادة روح أخلاقية في جوهرها لأنها أداء للواجبات الإلهية، وتوجد أيضا في المعاملات.(أفضل، ٢٠٠٩)

○ الخلق نوعان:

١- خلق حسن : وهو الأدب والفضيلة.

٢- خلق سيئ : وهو سوء الأدب والرذيلة.

- حسن الخلق : قال عليه الصلاة والسلام : " إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً " رواه الترمذي، وجاء النهي عن سوء الخلق وطريقة التعامل مع من يتصف به، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩]

○ الخُلق مع النفس :

من أعظم ما اهتم به الإسلام هو تهذيب النفس وتربيتها على الأخلاق الفاضلة العظيمة ولتربية النفس على الأخلاق الفاضلة صور كثيرة جداً ، من أهم هذه الصور الرئيسة والتي تمثل مرجع لكثير من الأخلاق الفرعية:

- التقوى: قال عليه الصلاة والسلام: " إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي " رواه مسلم
- السعي للفضائل: لقوله تعالى: { ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون } وقوله عليه الصلاة والسلام: " ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء" رواه أبو داوود والترمذي.

الأمانة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[النساء:٥٨]

- وقال عليه الصلاة والسلام: " والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم " رواه أبو داوود والترمذي. وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر في صفات المنافق: " وإذا ائتمن خان " متفق عليه. (عطية،١٤٢٢)

الصبر:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر:١٠]

وقال عليه الصلاة والسلام: " عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ؛ إن أصابته سرّاء شكر ؛ فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر ؛ فكان خيراً له . رواه مسلم . (السعدي)

الحياء:

لقوله صلى الله عليه وسلم: " الحياء من الإيمان " متفق عليه.

التوبة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾[البقرة:٢٢٢]

الخلق مع الوالدين والزوجة والأولاد:

حسن معاملة الوالدين هي رأس المعاملة الأخلاقية، قال تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[الإسراء:٢٣]

فالإسلام حث وحرص على حسن معاملة الوالدين والتخلق معهما فحقهما عظيم وهو مقرون بحق الله تعالى وهو التوحيد كما قال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[الإسراء:٢٣] .

فهذا يجعل حقهما عظيم وسوء الخلق معهما عقوبته عظيمة ، بل حث على برهما حتى لو كانا كافرين بل لو دعيا ولدهما إلى الكفر فكيف لو كانا مسلمين، قال تعالى ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[لقمان:١٥]

بعد ذلك الخلق مع الزوجة و الأولاد فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" ، رواه الترمذي وابن ماجه.
وقال عليه الصلاة والسلام: " اتقوا الله واعدلوا في أولادكم " رواه البخاري.

- الخلق مع الجيران والأصدقاء:

أوصى الإسلام بالإحسان إلى الجار والقربى ومن تلك الوصايا:

- أن يبدأهم بالسلام.
- أن لا يطيل معهم الكلام.
- أن لا يكثر السؤال.
- أن يعود المريض.
- أن يغض بصره عن محارمه.
- أن يتلطف معه ومع أولاده.
- أن ينصح له في ما يحتاج.
- أن لا يؤذيه. (طاهر، د،ت)

○ **الخُلق مع الغير : وهو نوعين:**

١- خلق المسلم تجاه عامة البشر.
٢- خلق المسلم تجاه المسلمين.

○ **الخلق تجاه عامة الناس:**

- **العدل**: وجه الإسلام إلى العدل مع كل الناس المسلم منهم والكافر والبَرُ والفاجر، قال عليه الصلاة والسلام: " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يدي ربي يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" رواه مسلم.

- **الرفق والمسامحة**: قال عليه الصلاة والسلام: " من يحرم الرفق يحرم الخير كله.

- الصدق: قال صلى الله عليه وسلم: " إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا " متفق عليه" . وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩]

- كتم الغيظ: قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٤]

خلق المسلم تجاه المسلمين:

خلق المسلم مع أخيه المسلم له جوانب كثيرة جداً وجاءت النصوص لدعوة لهذه الأخلاق من ذلك ما بينه النبي عليه الصلاة والسلام من حق المسلم على أخيه المسلم: فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ). رواه البخاري مسلم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا

تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" رواه مسلم.

- المساواة: قال عليه الصلاة والسلام: " لا فرق بين عربي وأعجمي ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى" رواه أحمد.
- النصح : لقوله صلى الله عليه وسلم: " وإذا استنصحك فانصح له" رواه الخمسة.

○ الخلق مع الحيوانات والبهائم:

الإسلام دين كامل شامل لا يهتم بجانب من الحياة دون جانب آخر ولم يترك شيء إلا وجهنا إليه ، و الأخلاق الإسلامية لم تقتصر على الإنسان فقط بل حث الدين على الخلق مع كل شيء من ذلك ما أرشد إلى الخلق الحسن مع الحيوانات والبهائم، فعن أبي يعلى شداد بن أوس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته " رواه مسلم.

فهذا يبين عظمة هذا الدين وأنه يلبي كل جوانب الحياة وما يحتاجه الإنسان في كل شؤونه فهو دين الخلق ودين الرحمة والإنسانية والعدل .

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المراجع

- دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة.
- الفكر الأخلاقي في الإسلام، حامد طاهر.
- كتاب اللآليء والدرر السعدية : عبدالرحمن السعدي رحمه الله.
- أخلاقيات المسلم، خالد محمد عطية، دار الوطن، ١٤٢٢.
- تفسير القرطبي.
- المسؤولية الأخلاقية والجزاء عليها د. أحمد عبدالعزيز الحليبي ، مكتبة الرشد ، الرياض (١٤١٧هـ) .
- المسؤولية الأخلاقية وأثرها على الفرد والمجتمع في ضوء السنة النبوية ، سجاد أفضل ، ٢٠٠٩.